"مسيحيون ومسلمون في مواجهة الفكر التكفيري" *

بقلم د. مهدي عبد الهادي

القدس

يطيب لي أن أشكر لكم هذه الدعوة الكريمة وجهودكم المتواصلة في عقد هذا المؤتمر السنوي وقد يكون من المفيد أن أعرض كمقدمه لمداخلتي، قراءة لثلاثة أحداث وقعت هذا الأسبوع وذات صله بمواضيع هذا المؤتمر.

الحدث الأول:

حكاية وردت في الأخبار عبر وسائل التواصل الاجتماعي عن عائلة عربية عراقية مسيحية تغادر مدينة الموصل في العراق هرباً من جماعات "إرهابية" تطلق على نفسها "داعش"/ الدولة الإسلامية في العراق والشام. حيث استوقفتها مجموعة مسلحة، وطلب أحد الملثمين من رب العائلة الإجابة حول "ديانته" "مسلمون أم مسيحيون؟" فأجاب رب العائلة، نعم، مسلمون والحمد لله.. فقال أحدهم: اذن اقرأ آية من القرآن الكريم، فقرأ رب العائلة ما يلي:

"أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأتي ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض، اعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا ذنوبنا و خطايانا، كما نحن نغفر أيضآ لمن اخطأ واساءة الينا، ولا تدخلنا في التجربة، ولكن نجنا من الشرير، لأن لك المُلك والقدرة والمجد إلى أبد الدهور. آمين."

وهنا، قيل لهم: "يمكنكم أن تواصلوا السفر، اذهبوا.." وبعد أن اجتازت العائلة هذه "العقبة المصيرية"..قالت الزوجة لزوجها: "إن ما قرأته الآن، هو من الكتاب المقدس من الإنجيل وليس من القرآن الكريم!" فقال الزوج: لو كان هؤلاء القوم يعرفون القرآن الكريم، لما قتلوا الناس الأبرياء على "الهوية"!!

وأرجو أن أذكر أمام هذه الحادثة ما جاء في القرآن الكريم (سورة المائدة) قوله تعالى: "من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون."

* مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة – مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدس-بيت لحم 12– 14 كانون أول (يناير) 2014.

الحدث الثاني:

احتفلت باريس وبركسل ولندن وعدد من الدول الأوروبية باليوم العالمي للتضامن مع الإسلام في مجابهة ثقافة الخوف "الإسلاموفوبيا".

وتحدث غالب بن شيخ، رئيس المنتدى العالمي للإسلام في باريس عن: "العيش الكريم وكرامة الإنسان وحقوق الحياة والمساواة بين البشر.." ولم يسجل أي اهتمام أو مواقف محلية حول هذا الحدث، لا مضمونه ولا المشاركة فيه، ولعلي أذكر كإضافة مرجعية للموضوع هذا أمرين، الأول مواقف حركة الإخوان المسلمين وتفسيرهم للحرية الدينية والفكرية التي ضمنها الإسلام، ما نُقل عن سيد قطب (1906-1966): "إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه انسانيته ابتداءاً..."

ومن الأهمية التذكير بقوله تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا". وأيضاً قوله تعالى: " لا اكراه في الدين، وقد تبين الرشد من الغي" (سورة البقرة). وأيضاً ما ورد في سورة الكافرون: "لكم دينكم ولي دين".

الحدث الثالث: تناقلت وسائل الإعلام العربية مؤتمر الأزهر الشريف هذا الشهر وكان موضوعه "مقاومة الإرهاب" وقد شاركت فيه وفود من جميع الدول والمؤسسات الإسلامية، وجاء فيه أن موقف الأزهر الشريف من "جماعات داعش" لا يكفر جماعات داعش أو غيرها. وجاء في شرح لهذا الموقف القول بأن "الدين هو ما أنزله الله على نبيه وما أكملته وفسرته السنة النبوية، وأن الدين هو الذي يلزمنا ونحتكم إليه في نصوصه القطعية، أم نصوصه الظنية نختلف فيها خصوصاً ما يتعلق بالفروع.."

فالمتطرفون اليوم، أمثال جماعات داعش كما جاء في وصف الأزهر الشريف لهم، فهم "بغاة من حيث ادعائهم الخلافة الإسلامية وهم محاربون، فقاموا بإشاعة الفساد وهتك الأعراض وقتل الأنفس ثم انتهوا إلى تكفير الأمة فتحقق فيهم الحرابة والبغي وهم أشد من بدعة الخوارج وقتال المسلم كفر، وقد قتلوا المسلمين فقد حكموا على أنفسهم بالكفر بأفعالهم. لو حكمنا بكفرهم لصرنا مثلهم ووقفنا على فتنة التكفير وهو ما لا يمكن لمنهج الأزهر الوسطي المعتدل أن يقبله بحال! [الذنوب لا تخرج العبد من الإسلام]."

عناوين هذا المؤتمر

وبعد... جاءت الدعوة لهذا المؤتمر تحت ثلاثة عناوين. الأول يقول: تدعو أسرة مركز اللقاء للدورة الثانية والعشرين لمؤتمر موضوعه: "اللاهوت والكنيسة المحلية في الأراضي المقدسة."

والعنوان الثاني يقول: يعقد هذا المؤتمر تحت عنوان "هل المسيحية نحو زوال في المشرق العربي؟"

والعنوان الثالث موضوع هذه الندوة اليوم بعنوان "مسيحيون ومسلمون في مواجهة الفكر التكفيري" وأعتقد أن المقصود هو العقيدة الدينية في مقابل الفكر الديني أو الفكر في ثوب ديني.

إن قراءتي للعنوان الأول: "اللاهوت والكنيسة المحلية في الأراضي المقدسة":

إن المقصود بالأرض المقدسة هي الجغرافيا الفلسطينية المسكونة بالكنيسة أي (باللاهوت)، وإن أم الكنائس- كنيسة القيامة في القدس وأيضاً مهد الكنائس- كنيسة المهد في بيت لحم، وكنيسة البشارة في الناصرة، هي كلها حاضنة للكتاب المقدس الذي يمنح "القدسية" للمكان، للأرض، للوطن الفلسطيني!

وكما سجل شاعرنا محمود درويش، "على هذه الأرض ما يستحق الحياة"، إننا في هذه الكنائس نصلي ونتعبد ونقرأ أناجيل الكتاب المقدس. وهنا تبدأ علاقتي أنا الإنسان بالأرض والكنيسة واللاهوت هي علاقة روحية.. بيني وبين السماء، وأيضاً علاقة جدلية... بين قراءة وفهم النص الديني "بإيمان" وبين تطبيقه على أرض الواقع بإيمان أيضاً!

وأستذكر هنا في محاولة لفهم هذا العنوان؛ الحوار بين السيد المسيح والسامرية عند بئر يعقوب، عندما جاءته فقالت: "أباؤنا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون ان في اورشليم الموضع الذي ينبغي ان يسجد فيه.." فأجابها: " يا امراة صدقيني انه تاتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للاب. انتم تسجدون لما لستم تعلمون.اما نحن فنسجد لما نعلم. ولكن تاتي ساعة وهي الان حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للاب بالروح والحق.لان الاب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. **الله روح**. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا."

وبناءاً على هذا الفهم، إن علاقتي أنا الانسان بالأرض والكنيسة واللاهوت هي الارتباط والتشابك والتواصل بين وجودي الإنساني والمكان –الحيز- الذي أقف فيه على هذه الأرض، أي الجغرافيا الفلسطينية، في حين،

أن في الكنيسة مفاهيم وقيم وتعريف بين ما هو مقدس وما هو مدنس. واللاهوت هنا قراءتي وفهمي للتفسير الديني (الفكر) والتطبيق الدنيوي للعقيدة أي الإيمان بها وحمايتها عبر التراث الجمعي الإنساني!!

وفي القرآن الكريم جاءت الآية الكريمة لتقول: "إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، وما أنت عليهم بوكيل.."

والعنوان الثاني في هذا المؤتمر: هل المسيحية نحو الزوال في المشرق العربي؟

وأقول لكم، كيف لكم أن تنكروا أو تتنكروا للسيد المسيح (عيسى ابن مريم عليه السلام) الذي جاء مخلصاً للبشرية وليس لجماعة. إن العقيدة لا تموت في قلوب المؤمنين. وإن الإيمان لا ينكسر، فارتباط الإنسان بالسماء لا يقف أمام حدود أو سدود أو يقتصر على جغرافيا!! أو جماعة ما!!

وأخيراً، موضوع هذه الندوة:"مسيحيون ومسلمون في مواجهة الفكر التكفيري" ، وأعتقد أن الموضوع هو محاولة البحث في أمور الدين (العقيدة والإيمان) من جانب، ومن جانب آخر، محاولة قراءة اجتهادات المفكرين ومدارسهم وأتباعهم!

إن العقيدة أو المعتقد الديني- هو أمر إلهي لا دخل للإنسان في "صنعه" ويتسم بالثبات خاصة في جانبه التعبدي، وله كينونة ذاتية داخلية، لا دخل للعقل بها لأنها تتصل بالوجدان كالذي يؤمن بالمعجزات لأنها وردت في الكتاب المقدس أو القرآن الكريم ولا توجد دلائل مادية على حدوثها سوى النص الديني ذاته. مثال: الإسراء والمعراج.

إن الأزمة التي نعيشها اليوم هي موضوع التساؤلات التي طُرحت في العناوين الثلاثة لهذا المؤتمر، موضوع "الرأي الديني"، عند اعمال العقل وليس النقل في تفسير وتطبيق النص الديني على الواقع.

وقد يكون من المفيد، العودة إلى جبران خليل خليل في دعوته إلى الثبات والإيمان وعدم الخوف أو التراجع عن الإيمان.. بقوله: "لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين، بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الأجنحة المعوجة..".

وفي ختام حديثي، أرجو أن أكون قد أضفت بعض الآراء والأفكار لاستمرارية هذه اللقاءات، وأشكر لكم مرة اخرى دعوتكم وعلى أمل التواصل....